

الشك

لدرومناد حسن طاس

مدرس اللغة الفرنسية مدرسا نقمة الثانوية الاميرية

الشك — كاليقين — حالة خرها كل واحد منا في ظروف متباينة . فكثيراً ما نود
التأكد من أمريننا معرفته . فبدوننا احتمالات متناقضة بحار أمامنا ذكراً ، وينحصر عليه
الاختيار بينها . وبدلاً من أن نمتنا نوانا العقلية على اكتشاف الحقيقة ، نجدنا كما نضعف
الصعوبات التي نواجهها وتأتي بنا عن كل نتيجة مرضية
فأهي طيمة لشك من الوجهة الثانية وما هي أسبابه ؟ وهل هو نوع من أنواع الضعف
وضرب من ضروب الشر ؟ وإذا صح أن الشك ضروري في كثير من الظروف ، أنليس من
اللازم أن تعلم كيف نمجد الشك ، لتجنب بذلك أخطاره على الفرد والجماعة ؟
تلك هي نقط بحثنا

نلاحظ جيداً أن الشك إنما هو نضال بين تقديرات مختلفة لا يصل أحدها إلى الفوز
باختيار العقل له دون غيره من التقديرات . ومن الخطأ أن نحسب الشك نوعاً من التوازن
بين قوى متعارضة متساوية ، لا تتجح إحداهما في التغلب على الأخرى . فمعد الشك في أمر من
الأمور، تعبير كثير أقيمة التناقض ونظير لنا كل واحدة منها بدورها كما أنها هي أحق
بقبولنا إياها ، ويعس العقل ميلاً إلى تفضيل الواحدة منها بعد الأخرى . وهذه هي بالضبط
حال الطالب الذي يتظر نتيجة امتحانه مرتانياً في قيمة اجاباته . فهو لا يقدر وعندئذ هذه الاجابات
تقديرأ واحداً ، بل تراه يميل مرة الى احتمال نجاحه ، وتظهر له آماله في النجاح واهية الاساس
مرة أخرى . ومخيل له في هذه الحالة الثانية ، أن نمة أسباباً جديدة كثيرة يخشى عليه معها من
الرسوب . وهكذا لا نجد له موقفاً واحداً لا يتغير ، بل هو دائم التراوح بين اليأس والرجاء . وهو
لايضاً يفحص من جديد أسباب امه في النجاح ، وخوفه من الفشل ، دون ان يشتر على حالة

وأحدة أو يصل إلى نتيجة ثابتة . وليس أيسر من أن نضرب أمثلة أخرى للدليل على أن اشك حالة حيرة فكرية ، محاذب العقل فيها قضية متعارضة ، يظهر منها عجزه عن العصل فيه . ولما كان اشك حالة تردد وقلق ، فهو بطبيعة الحال مؤلماً . وقد يصحبه نوع من الضيق يصعب احتجانه . وذلك ما نشعر به عند ارتيابنا في أمر بهنا كثيراً معرفته معرفة عامة محققة . ويحيل لبعض أن الشك انساني يفسح مجالاً للإيمان ، قل إيماناً للبره من التأكد إذا كان الأمر أمر كارثة من الكوارث . ولكن الثابت أن السبب من وقوع حدث مشؤوم ، يكون غالباً أقوى أثر في النفس من احتجان الحدث المشؤوم نفسه إذا وقع بالعقل . ولأرب في أن تثبت الطالب من وسوية ، أيسر احتمالاً من ساطة الذبذبة وعدم الاستقرار ، التي لا تعان تدنفاً لموازنة ما له من فرص في النجاح والسوب . وكثيراً ما رأينا الآباء والامهات يفضون معرفة حقيقة ما حدث لطفل لهم احتج فجأة معه كانت هذه الحقيقة . بل وكثيراً ما لاحظنا أن التحقيق من موته — رغم ما يحدته من ألم عميق في نفوسهم — يعين على تهدئة أعصابهم المرتهجة ، على إثر بحثهم عن حقيقة ما حدث نظلم دون جدوى

ويختلف رأي الفلاسفة فيما إذا كان الشك نتيجة ضعف في الارادة . ويرجع اختلافهم هذا الى عدم اتقانهم على رأي في ماهية اليقين . فيعتقد بعضهم أن مصدره الوحيد هو الذكاء . ويقولون إننا لا نؤمن بالاشياء إلا إذا فهمناها فهماً جيداً . ويرى آخرون أننا لسنا في حاجة الى الذكاء لفهم القضايا البسيطة ، فهذه يظهر لنا خطأها أو صوابها دون عناء أو إعمال فكر . واتا إذ نستخدم العقل في حل المشكلات المعقدة ، نستند الى ارادتنا للبحث عن الحقيقة . لأنها هي التي نرسن على قوة الانتباه ، وتعين التفكير على مواصلة نشاطه فلا يترك الصواب إلا وقد فحصها فحصاً كاملاً ، أو مرضياً على الأقل . كما أنها توجه الجهود العقلية التوجيه الصحيح ، فلا تسمح بإعمال العاصر المهمة اللازمة لاتمام البحث . وليس أدل على ذلك في رأي هؤلاء الفلاسفة من أننا لا نتحيز لرأي دون آخر ، إلا ولارادتنا دخل في ذلك

ويذهب فلاسفة آخرون الى أبعد من هذا ، فيقولون ألاّ يحبس من الشك لولا تدخل الارادة التي تمنع الشك من إقتحام العقل وإرباكه ، والتي لولاها لاصبحت الثقة مستحيلة ، حتى فيما يتعلق بالحقائق العلمية

وهم يقولون في هذا الصدد أن ليس نعمة حقائق لا سبيل الى قنيتها أو إنكارها . ويعجبون كيف يعتقد البعض أن هناك حقائق تلزم العقليين بالاتفاق عليها ، ويستشهدون بتاريخ الفلسفة الذي يثبت لنا تضارب المذاهب واختلافها في كل زمان ومكان . ويتساءلون أين هي تلك الحقائق الثابتة التي لم تكن يوماً من الأيام موضعاً للشك ؟ ويهجم هؤلاء الفلاسفة بأن تدخل العاطفة

والارادة شرط من شروط تمييز الانسان لذاته وقوايته . وأنه نوره هذا اقتدخ بالخطا
الانسان ابي الذكاء ولا وزن فيه . بل لما تحرر عقله من الشك

وانسا ودالتعرض لهذا الشكبة الضخمة التي لا وزن . لخلاف قائماً عليها بين الفلاسفة أنفسهم .
واشكت تريد أن تشير إلى أن دراسة حالات الشك المرضية ، أظهرت العلاقة بين الشك
وصعب النشاط في الإرادة . فالصحح أن ضعف الذكاء واضطرابه ، ليسا المصدران الوحيدان
لشك المرضي ، وأن مرض الشك يحدث اضطراباً عميقاً في مجموع النشاط العقلي ، مضافاً إلى
ضعف كبير في الإرادة . وعندئذ يحس الشك هياجاً عقلياً مبدئياً لا جدوى من وراثته ، بل
أنه ييجز بسبب هذا الهياج ، عن إتمام البسط البحوث واستبعاد المسائل الدخيلة ، ومواجهة
الصعاب الحقيقية . ولن يستطيع العقل البشري تجنب الشك تجنباً تاماً . فكما أن هناك حقائق
منظلمة موضعاً لتفتيته ، فإن ثمة حقائق أخرى لن تصح ثابتة ، إلا بعد أن يهدبها الشك ويصقلها
النقد . ويتضح من ذلك ما للشك من الشأن في التفكير العلمي

فالعلماء يتفقون على أنه أساس الملاحظة الصحيحة السليمة . إذ أن هناك أسباباً للخطأ
كثيرة . نذكر منها عيوب حواسنا ، ونقص أدوات البحث عندنا ، وتأثرنا بما نوارثناه من الأفكار
عن أسلافنا الخ... وواجب الباحث أن يشهد كثيراً قبل الأخذ برأي من الآراء أو الأيمان
بحدث من الأحداث . وأن يتدبر بكثير من الحذر إزاء كل ما ذكرنا من أسباب التورط في
الخطأ ، وإزاء الفروض التي توحي بها ملاحظة الأشياء والأحداث . والرجل العالم لا يني يناقش
ويفسر الحقائق التي يظنها الرجل العادي ثابتة لا مجال للشك فيها . وهكذا يفوز بالفكرة التي تسمى
اكتشافاً ، والتي قد تضيف حقيقة جديدة الى مجموعة معارفنا العلمية . ولا يكون لهذه الفكرة أية
قيمة إلا بعد أن يقدم الدليل على صدقها واستنادها الى الخبرة . ويسمي العلماء بالخبرة مجموعة الحقائق
التي تقوم على أساس الملاحظة والتجربة . ويجمع العلماء المعاصرون على ان الحقيقة هي كل ما تحققت
صحته بعد طول البحث وكامل الدراسة . ويتبين من ذلك أهمية الشك في اثناء القيام بالجهود
التي ترمي الى التحقق من صدق فرض من الفروض أو فكرة من الفِكَر . فالعالم لا يتسجل
قبول ما يمر بمخيلته من خواطر ، بل هو يحتفظ بتقديره ويبدأ عمله بالشك في كل فكرة من
الفِكَر ، ومحاولة اقتناده كل رأي من الآراء ، واستقصاء كل ما يمكن ان يوجه الى هذه الفِكَر
والآراء من اعتراضات . وكثيراً ما يطول شك العالم . وليس أدل من تاريخ العلوم على ان أهم
أسباب تورط العلماء في الأخطاء ، هو عدم ارتياحهم ارتياحاً جدياً فيما يحتاج عقولهم من الفِكَرات
ويحسن بنا أن نشير هنا الى ما يقوله العلماء والمنكرون المعاصرون عن القيمة النسبية المؤقتة
للتظريات . فهم يعتقدون ان غاية العلم هي اكتشاف العلاقات الضرورية التي تربط الظواهر

بعضها ، ويقعون في هذا الصدد « إننا لا نعرف هذه العلاقات إلا معرفة نسبية ، وما وصلت إليه من نظريات هو أبعد ما يكون عما يسببه البعض حقائق ثابتة ، وعليه فنحن بدأنا نرى اعتماداً فحجراً وتميزاً مجرداً لمجرد تحققنا من أنها لا تمثل الحقيقة ، وإواقع ، ونحن إنما نجد في تغير النظريات لتصبح مطابقة للضعية الشمسية منها ، ولا نصل على أن تطابق الطبيعة هذه النظريات ويزرق كلود برنار^(١) بين العلوم الرياضية وعلوم الطبيعة يقول : « إن نقطة البدء في العلوم الرياضية وحدها دون غيرها ، تتكون من حقائق ثابتة ، أما فيما يتعلق بجميع انظواهر الطبيعة فالبادئ التي تصدر عنها محوتها ، لا تمثل إلا حقائق لمسية ، وعلى ذلك فليس للمجريين (expérimentateurs) حق الإدعاء بأن نقطة البدء في بحوثهم ثابتة ، وينبغي ألا يعتقدوا أنها مطلقة ، لأن فصل إليها بد التجارب التي لا تتفك تغير وتبدل » . ويضيف « كلود برنار » إلى ذلك قوله : « إن النظريات مؤقتة في علوم انكبياء والطبيعة ووظائف الاعضاء والاحياء ، والطب على الاخص . وعليه فني مقدور المجرين في مختلف هذه العلوم أن يحتفظوا بمحل حريتهم في البحث » وقد يكون الشك خير وسيلة لملاحظة بحرية التفكير التي تعد بحق الشرط الاساسي لاكتشاف الحقائق في ميدان العلم وعالم الفلسفة . ولأجل ان يحتفظ الباحث بذهن كامل الحرية والاستقلال ينبغي له ان يتحرر من افكاره وآرائه . وان يرسن عليها ويخلصها للتد والتجريب . ولقد ذهب بعض العلماء الى ان الجهل شرط من شروط المقدرة على التجديد . ولكن « كلود برنار » يعتقد ان هذه الفكرة غير صحيحة ولو انها تخفي حقيقة ، اذ لو صح ان الجاهل لا قيمة الافكار المتوارثة ، فهو ناقص ، تفوزه العناصر الضرورية لاختراع الفكرة . ولا ريب في ان اعتماد العقل للاكتشاف يزيد بزيادة نسطحه بالمعارف الضرورية ، بشرط ان يحتفظ باستقلاله آزاء هذه المعارف التي قد تسيه ، لانها كثيراً ما تكون خطأً وبنياً

ثم ان الشك في آرائنا يمتنع على عدم الازدراء ، إلا مع تقنا بأقنا ثقة تيماء . وكما ان واجب الباحث ان يتجنب كل ثقة ساذجة في نفسه ، كذلك ينبغي له ألا يتأثر بما لشاهير الرجال والمفكرين من سلطة وقوة . لأن أكثر الآراء عجزية ونبوغاً ، تبقى قابلة للتصحيح والاقام

ويفرق الفلاسفة بين شك العالم ، وريبة الشاك . فالشاك لا يؤمن بالعلم . في حين ان العالم الذي يشك في نفسه ، يؤمن بالعلم . ومعنى هذا ان شك العالم ينصب على وسائل استقصائه وصحة آرائه . ولكنه لا يمس العلم بسوء

وربم معرض يقول : اذا صح ان العالم يشك في كل شيء ، فكيف به يؤمن بالعلم وهو يعتقد ان صحة نظرياته نسبية ، وأنه يجوز له ان يهجر هذه النظريات ويسدها ! ثم أليس من

(١) كلود برنار من اكبر العلماء الفرنسيين في القرن التاسع عشر (١٨١٣ — ١٨٧٨)

تجيب أن نضيق كلمة « حقيقته » على آراء ومبادئه، يعان منها مؤثمة؟ وكيف تأخذ بها ونحن نشك فيها؟

ومعنى الخطأ في هذا الاعتراض اعتقاد أصحابه أن العلم لا يتيسر له أن يؤدي رسالته إلا بأن يضر الطبيعة الماهية الحقيقية، ونسكن أواقع على خلاف ذلك، إذ غاية العلم — كما قدما — هي أن يحدد العلاقات بين الظواهر (Causa et phenomenon) وهو لذلك قابل للتقدم، ولقد ذكرنا أن هناك نتائج كثيرة ثبتت دعائمها وفرغ من تقرير صحتها، وليس أكثر من العلاقات التي اكتشفت من زمن بعيد بين مختلف الظواهر ولا زالت كما هي، وينسأل العالم الفرنسي «مكود برنار»: وهل تميز العلاقات بين ما يمكن ملاحظته من الظواهر الضرورية، إذا أخذ العلماء بنظرية جديدة في الضوء؟!

ويتبين مما تقدم أن الشك ليس عجزاً أو ذبذبة فكرية لحسب، بل هو في كثير من الأحيان موقف حذر يرفض معه العقل كل تقدير لا يقوم على الأداة وسعة الاطلاع وطول الاستقصاء، وإذا كان ينبغي لنا أن نسلم كيف نجد الشك ونحسبه، فمن أهم الأمور أن فهم أخطار الاسترسال فيه فقد يكون من نتائج الريية في كل أمر من الأمور أن يعود الانسان عدم الاستقرار، فيصح بتودداً لا يقوى على اتخاذ قرار نهائي، كما قد يفدو عاجزاً عن القيام بذلك الجهد الذي يتلخص في تنظيم عناصر الدرس والمناقشة وترتيب الحجج وفق أهميتها للوصول الى نتيجة معقولة في نهاية الأمر، ولقد لوحظ فضلاً عن كثير من المفكرين الممتازين قد بالغوا في الفحص عن كل فكرة من أفكارهم وكل دراسة من دراساتهم، فأدى ذلك الى اضطراب طرقهم في التفكير ولقد سبق أن ذكرنا أن الشك حالة ضيق مؤلم، ولكن كثيراً ما يتحول الشك في الحقيقة الى عدم أكثرات بها، وقد يلد لسقل الاستمرار في نشاطه دون اهتمام بالنتيجة التي ينبغي له أن يحصل عليها بفضل هذا النشاط، وهكذا ينقلب التفكير الى ضرب من ضروب المهو، يقتصر معه المفكرون على التمتع بملاحظة خصوصية أذهانهم والاعجاب بمرورها وثوقها على سواها من الأذهان، غير آبهين بحل المشكلات واكتشاف الحقيقة، وهذا خطر كبير إذ الواجب أن تكون غاية كل نشاط فكري، هي الوصول الى نتيجة خاصة وإقامة الدليل على صحة هذه النتيجة أو أحمال صحتها على الأقل



ولكي لا تكون دراستنا هذه في الشك ناقصة، نرى ان نضيف الى تحليلنا النظري له وسائل الرقابة من تحوله من وسيلة ناقصة للشور على الحقيقة، إلى ميل او حالة مرضية

وقبل ان ندرس هذه الوسائل ينبغي لنا ان نذكر ان المشاكل يكون سريع الانفعال حادة . والانفعال السريع الحاد يكون اما طبيعياً او مكتسباً . فاذا كان مكتسباً ، فيبني لنا ان يعرف الظروف التي تحرك هذه القابلية للانفعال الحاد لتلافيها إن أمكن . او — على الاقل — لتقارم آثارها بمجرد توفرها ؛ إذا كان من المنجيد علينا نجحها تماماً

وعلى وجه عام نجد ان الانفعال السريع الحاد المكتسب يكون نتيجة لأحد أمرين : هما الانفعال النفسي الشيف المتكرر . او بعض الامراض المعدية . وعليه فواجبنا ألا نألوا جهداً في ان يأسن أطفالنا شر الاتصالات التسمية المفاجئة ، او التي لا جدوى من ورائها . وان نحول بينهم وبين خلوتهم بأنهم يستجيب عليهم احفاء ميولهم وعواطفهم . فكم من طفل اضطرب كيانه على اثر مشاهدة منظر أساء فهمه او نتيجة لطائفة جامعة كتبها في نفسه ، اعتقاداً منه انها شريرة او مزرية به . فأصح بذلك قلقاً تلقفه الهواجس ، متردداً يرتاب في كل امر من الامور

فاذا كان الانفعال الحاد نتيجة لحادث او مرض من الامراض ، فتواجب تهذئة هذا الانفعال قبل ان يعود الطفل الى مواصلة حياته العادية . ويؤكد الاختصاصيون انما نستطيع ان نجد في ظروف حياته الخاصة وسائل تهدئته اتبع من العقابير وأكثر منها ثمرة . وان اهم ما يجب الالتفات اليه ، ضرورة العمل على تحويل تفكير الطفل عن اتصاله الذي يسببه مجرد ملاحظته له واهتمامه به . ويقول هؤلاء الاختصاصيون ان زوال الاتصالات التسمية الحادة ، يسترق زمناً طويلاً ، وانما اذا عرضنا الطفل اتاء هذه المدة لاتصالات تسمية جديدة ، او الى اي جهد عقلي متعب ، وصحت عنده نهائياً هذه الاتصالات الحادة ، وأصح زوالها وشيئاؤه من آثارها مستجيلاً

اما سرعة الانفعال الطبيعية ، فتظهر امراضها في طور المراهقة . وعليه فيبني لنا ان تبدأ ملاحظتنا الدقيقة لها منذ احتلام الصبي الذي يبدأ معه تطوره التاسلي وتكوينه الديني . وهما مصدران عظيمان لنمو الاتصالات التسمية الطبيعية ، إن لم نمن بإرشاد الطفل في هذه الفترة غاية تامة



ولعل من الخير ان نقول هنا كلمة عن اخطار هذه الفترة الهامة من فترات تطور الطفل تطوراً جسمانياً وسخوياً . فكثيراً ما تطع الطفل بمطابع يصعب ازالته ، كما قد يستجيب أحياناً القضاء على آثاره

وسنذكركم أولاً عما يسببه الاطباء وسماه النفس الافعال الجنسي . وثانياً عما يسببه
الاقبال الشفي

اما الافعال الجنسية فهو من أعمق الاقتمالات أثرأ في قلب كيان الشخصية . ذلك بأنه نتيجة
أول انقلاب جسماني منوي عند الطفل . ولعلنا أزمة بلوغ الرشد هي أهم الازمات الدالة على
الفرد . فانطلق في هذه السن لا يتبري ما حل به بالضبط . ولكنه ينمو باستيقاظ رغبات في
نفسه ، ويخرج من الاضطراب عند رؤيته الجنس الآخر ، او الاحتكاك به . ونحن نلاحظ بأنفسنا
أن أطفال الجنس يتجادلون كثيراً في هذه الفترة وهم تارة يبحث احدهم عن الآخر ، وطوراً
يفر منه . ويكون الدور الشهري عند الفتيات علامة هذا الانقلاب الحظير . فكثيرات منهن
بضطربن نتيجة اضطراباً كبيراً . وقد تاورهن آلاف من الأفكار المختلفة عند حدوثه ، ان لم يحصلن
على ايضاح اسبابه وطبيعته . كما ان الهواجس الجنسية تبدأ في هذه السن في النمو عند
الأطفال ، المذكور منهم والآنث على السواء . وقد يصحب هذه الهواجس ظواهر جنسية . وعلى
ايد حال فان هذه هي الفترة التي يبدأ الأطفال يفكرون فيها في علاقة الرجل بالمرأة ، وفي الأمومة
والولادة . وهم محسون خوفاً غريباً بمنهم من الاستمرار عن هذه الاشياء من آباءهم
ومربيهم . فان حدث ووجها لنا سؤالاً في هذا الصدد فتمن نرحبهم ، وقههم ان من العار
ان يفكروا في هذه المسائل . ونحاول اقناعهم ان هذه المسائل الطبيعية ، غير طادية . وأنه
يحسن بهم ألا يلتفتوا اليها ، لان من الرذائل ان تشغل بالنا بها
فماذا يحدث عندهم ؟

كلنا يعلم ان حب الطفل للاستطلاع يزيد كلما حاولنا ان نسرل الوقت الحافة به بمجورة من الابهام
والتموض . وهو لا يبي يجيد في فهم ما يحل به ، وتطبيق كل ما يعرفه على نفسه . وهو إذ تنمو غريزته
الجنسية ويسر تطوره الجنسي إلى جانب تطوره المنوي ، يكون في نضال دائم مع نفسه . فتقاذفه
غريزته التي نصف به رغم أنه من جهة ، ونهمة للبادئ الخلفية الذي أسى ، تكونه من جهة
أخرى . ويظهر هذا النضال أكثر وضوحاً في الصبيان وذلك لأن الوظيفة الجنسية تم عند الفتيات
بفضل الدور الشهري ، في حين أن الإفراز الغدي يبنى عند الذكور في حاجة إلى مخرج . فإذا
لم يمتز على هذا المخرج بطريقة طبيعية ، فهو يجده بطرق شاذة تتركب الجسدي طامة والجهاز
الخصي خاصة . كما قد تمنع هذا الجهاز من النمو طبيعياً ، أو تضعف قوة مقاومته . وكثيراً ما
يكون لها بجانب الآثار السابقة آثار أخرى أكبر خطورة ، وهي الشنود والاقبال الجنسي .
وهذا هو السبب في اتنا نجد ان حالات جنسية شاذة تصيب كثيراً من الأشخاص شديدي الحجل
والتمسك بأهداب المبادئ الخلفية

والملاحظ أنه إذا توقفت الوظيفة الحسية عن العمل لوقتاً طويلاً ، نتيجة الضغط المنفرد ، فإن الاعمال النفسية وما يعقبها من اضطراب تلب أقصى ضرور الحدة . وعندئذ تصبح المألة الحسية ، أهم ما يشغل انشغال الذي قد يفارم تسلطها على تفكيره . ولكن مقابله هذه لا تقوى على أن تمنع عنه الفرار منها كما أسس في . وهي جادة في طلبه . وهكذا تنشأ فيه حالة الشك انطوري التي تترآكم بعدها ضيقات أخرى من مختلف الشكوك

ويؤكد الاختصاصيون أصحاب المؤلفات التي رجحنا إليها في هذا البحث ، ان اوظيفة الحسية هي النقطة التي تبدأ منها شكوكنا جميعاً ، وإن كل الحوائل التي تقيمها ، عمداً أو عن غير قصد ، لمنع هذه الوظيفة من أداء عملها بطريقة معقولة ، تؤدي إلى اضطراب تكويننا الجسماني النفسي اضطراباً ليس بعده اضطراب . وهذا ما يسونه بالاضفال الحسي .

ويستند هؤلاء الاختصاصيون أن المصدر الثاني للشك المرضي هو الاعتقال الديني . ويقولون ان تطور العاطفة الدينية يتبع تطور النمو الحسي ونمو شخصية الفرد نفسها . والواقع أن فترة الاحتلام هي الفترة التي يبدأ فيها عند الطفل استيقاظ الطوائس الدينية والخلقية بل والفلسفية . وعندئذ تأخذ شخصيته الفكرية والخلقية في التكون وتسمح في ذهنه بعض الفكرات العامة ، ويظهر خلقه ، ويتضح اتجاهه الجديد النهائي . كما أن تربية الطفل من الوجهتين الخلقية والدينية تبدأ هي أيضاً في هذه الفترة . فنحن نتحدث إليه فيها عن واجباته ونحو نفسه وغيره ونحو الخالق ونعزج بذلك الدين والأخلاق

ويسمى في هذه الفترة بشكل خاص احساس الطفل وقابليته للاضفال والتأثر . بل إن الاشياء التي تؤثر في نفسه في هذه الفترة ، تطبعها بطابع خاص عميق . ثم ان تحييده يأخذ في النمو نمواً محسوساً ويستند عنده تداعي الافكار والمكاس الاعمال النفسية ، بعضها عن بعض .

ولكن كل هذه القوى تكون رغم نشاطها وحيويتها ضئيلة . وواجب المرء ان يحدد في ان يكون نمواً جديماً متناسباً متوافقاً . وان يحول دون زيادة قابلية الطفل للاضفال إلى حد يصح معه مصدر خطر عليه

وإنما لتلاحظ مع الاسف الشديد ، اننا نقوم بمكس هذا . فنحن عندما نحاول ان ندرس في قس الطفل فكرة الخير وحب الخالق واكباره وطاعته ، نلجأ الى ارهابه من الشر وآثاره واحاقته من نار جهنم وسوء المير . وبدلاً من ان نستمر أطيب عواطفه في تربيته الدينية وتكوينه الخلقية ، نستخدم أردل نمازوه واسقطها ، واضعي بها الخوف

ويظهر عندنا في الافتقار الصوري كعندنا انساني من مصادره الشك . بل كعامل من عوامل تويد الارض المصلحة لتو شاكرك اني بد ذلك . وليس من امير ان فهم ان من قاش ذلك ان يثبت عند انطقنا اضطرارنا نفسنا اني عميق ما قد تلازمه طول حياته . فذلك فترة تضرب شخصه . بل فترة تفكره من كثر الوجوه .

وخطورة هذه الفترة أعمق الازار في الانحاء التياني حياة الفرد ، ينبغي لنا أن نعصر في انماها على احاطة العقل بحجور من الايمان والثقة بالنفس ، وكما زادت حلاوة الاس اني نشيد عنها شخصته وتكوينه الخلقى والديني . زادت قوة مقاومة هذه الاس على سر الايام ومن الخطر ان نساها في تقوم اي اعوجاج جنسي عند الطفل او تهاون في تبديد اي شك خلقى أو ديني . فقد يصح هذا الاعوجاج نقصاً خطيراً وقد يقطب هذا الشك كقراً مستطيراً . وبدلاً من أن نترك للظروف أمر ارشاد انطقنا وأتارة ذهنه ، وبدلاً من أن نهرب من الاحابة على اسئله مدعين المجز عن فهمها واهمال هو اجسه دون اي تفسير أو ايضاح ، يجب علينا أن نهدي اطفالنا سراء السبل . وأن نجيب على أسئلهم بالقدر الذي يستطيعون فهمه ، وأن نهدد شمسهم عنانهم ، ونفضي على بصادر الرية عندهم



والخلاصة أن التكاه يصو الى اليقين والاستقرار . أعني الى معرفة الحقيقة معرفة أكيدة . وعلى قلت قالك بدسراً من شرور البشرية . بل انه من اكثر هذه الشرور إبلاماً لها . ولكنه ليس كذلك في كل الظروف . بل انه من أهم وسائل الشور على الحقيقة وتجنب الخطأ ولقد كان ديكارث من أكثر الفلاسفة تعلقاً بالاستقرار واليقين . ولكنه مع ذلك كان يشتر الشك من الاساليب الاساسية في طرق البحث . ولقد قال پاسكال : « إن اجادة الانكار والاعتقاد والشك هي بالنسبة للانسان كالمدو بالنسبة للخيل »

وليس أصدق من كلمة پاسكال هذه . ولكن الناس يعضون بسهولة لتأثير يثامهم وضبط عواطفهم فيعتلون الانكار . ويشرعون في الاعتقاد والشك كيف اتفق وواجب التربية أن تعمل على أن تكسب العقل كفاءة اجادة الانكار والاعتقاد والشك . فاذا بلغت هذه الناية أو اشرفت عليها ، كان لها على الفرد فضل ترويده « برأس محكمة الصنع » . وما هذا بقابل